تعقيبات

للأستاذ أنور المعداوى

« آثرت الحرية » أمام القضاء الفرنسى :

كتاب ترجم إلى كثير من اللغات الحية ، ولاق اهتماماً كبيراً فى كل بلد حلّ ضيفاً على لغته وتراثه ، ذلك هو كتاب « آثرت الحرية » للكاتب الروسى فكتور كرافتشنكو ... واليوم يثير هذا الكتاب أعظم ضجة عرفها محيط الرأى العام الفرنسى ، وردد صداها البرق إلى كل بقعة من بقاع العالم !

أما كرافتشنكو فكان موظفاً بالسفارة الروسية فى أمريكا ثم ترك منصبه وتخلى عن جنسيته ، ولجأ إلى حكومة البلد الذى يقيم فيه طالباً حمايته ... ثم ما لبث أن أخرج كتابه ليهاجم فيه نظام الحكم فى بلاده ، وليتحدث عن الجو القاتم الذى يكتم الأنفاس ويقبض الصدور ؛ ذلك الجو الذى قدر له يوماً أن يعيش فى رحابه ، وأن يطلع على كثير من قيوده التى تحد من حرية الرأى والفكر ، وتلغى كثيراً من القيم التى ينشدها الأحرار فى المجتمع الكريم !

لهذا كله أثار الكتاب اهتمام قرائه ... ولكنه عاد اليوم قرابهم بقدر ما راعهم ، حتى لقد أصبحوا يترقبون باهتمام بالغ نتيجة هذه الضجة التى أثارتها حوله مجلة « ليتر » الفرنسية ، وهى الضجة التى اتخذت طريقها إلى القضاء منذ أيام !

ولقد ذهبت المجلة فى تجريحها للكاتب الروسى إلى أنه كذاب مخادع لا يمت إليه كتابه بصلة من الصلات ، وإنما هو من صنع قلم المخابرات السرية فى الولايات المتحدة ... وأمام هذا التجريح السافر لم يجد كرافتشنكو بداً من رفع الأمر إلى القضاء ، مطالباً بمعاقبة القائمين على أمر المجلة الفرنسية طبقاً لنصوص القذف فى القانون الفرنسى !

وفى سراى العدل فى باريس حيث عرضت هذه القضية المثيرة ، ضاقت القاعة على سعتها بجمهور يتلهف شوقاً إلى سماع كلمة القضاء فى حقيقة هذا الكتاب ... أهو حقاً من وضع مؤلفه أم هو من وضع غيره ثم رؤى أن ينسب إليه ؟! أما أنا فقد تتبعت أدوار القضية مما وافتنا به شركات الأنباء فى الأيام الأخيرة ، وأستطيع أن أقول إن موقف المؤلف الروسى قد بلغ غاية الحرج فى أول جلسة من جلسات المحاكمة ، حتى لقد سرى الهمس بين الحضور حول حقيقة نسبة الكتاب إلى مؤلفه ... كان ذلك حين وجه محرر « لى ليتر فرانسيز » سؤالين إلى كرافتشنكو أوقعاه فى حيرة بالغة ، وكان السؤال الأول : هل يستطيع كرافتشنكو أن يذكر لنا شيئاً عن نهاية « منزل الدروس » ؟ وأرتج على المؤلف الروسى وعجز عن الجواب ولم يدرك ما وراء السؤال ... عندئذ تهيأت الفرصة لخصومه فانثنوا يتهمونه بالكذب والخداع ؛ كيف يعجز عن تذكر مسألة أفرد لها بعض الصفحات فى كتابه وهو يتحدث عن مسرحية « منزل الدروس » للكاتب النرويجى هنريك إبسن ؟! وكيف يعجز عن تذكر مسألة أخرى دار حولها السؤال الثانى حين طلب إليه المحرر أن يدلى بما رسب فى ذهنه عن مسرحيات دستويفسكى الثورية ، وهى مسألة تناولها المؤلف من زاوية خاصة فى بعض صفحات « آثرت الحرية » ؟! ...

وهل من المعقول أن يخرج كرافتشنكو كتاباً يقع فى ستمائة صفحة من القطع الكبير بهذا الأسلوب المشرق كما يقول خصومه وهذه مقالاته فى الصحف الروسية تحفل بين أيديهم بهلهلة الأداء وانحطاط العبارة ؟!

هذه هى القضية التى تعرض اليوم أمام القضاء الفرنسى ... وليس من شك فى أن الذين قاموا بترجمة هذا الكتاب من مختلف الشعوب إلى شتى اللغات ، سيلقون بعض الحرج إذا وقف القضاء إلى جانب المجلة الفرنسية ، ومما يذكر فى هذا المجال أن الأستاذين محمد بدران وزكى نجيب محمود قد قاما بنقل الكتاب إلى العربية بتكليف من وزارة المعارف !

لحظات مع أمير الشعراء :

هى تلك التى نعمت فيها منذ أيام بالاستماع إلى قصيدة « الفيل » ، تنطلق أبياتها فى انسجام ساحرة من حنجرة أم كلثوم ،

الشعر الممتاز بتناوله الصوت الممتاز فيحيله لحناً فريداً يمتع السمع والفكر والخيال .

أما السمع فكان مع الصوت الجميل النادر ، وأما الفكر فكان مع الشعر الذي هز مكامن الشعور ، وأما الخيال فكان مع الشاعر العظيم يسبح في دنياه !

نعم ، كان الخيال مع الشاعر الذي أنكرته يوماً مع المنكرين ثم عدت فأنكرت ما كان من أمر نفسي ... إن ضجيج المعاول التي كانت تحاول هدم البناء الذي أقامه الرجل في دنيا الشعر ، هو الذي حال بين سمعي وبين الإنصات لتلك القيثارة الفذة ! لقد كنت أصبح على أصوات المعاول وأمسي على أصوات المعاول وفي غمرة هذا الضجيج طفت الصيحات الجائرة على الألحان الساحرة فضلت طريقها إلى قلبي ... ولم تكن الملكة الناقدة في السن المبكرة قد بلغت من النضج ما يمكنها من إقامة الميزان للملكات الموهوبين وحملات المتعرضين ! وحين أقبل اليوم الذي خفتت فيه أصوات المعاول خجلا من صمود البناء ، أرهفت سمعي لألحان الشاعر المفترى عليه ، وأرسلت فكري يقف عند كل بيت من أبياته ويطيل الوقوف ، ووجدت أزن الرجل وشعره بميزان الذوق الذي يحتكم إلى العقل والقلب والشعور ... وخرجت من هذا كله بشيء واحد : هو أنني آمنت بشوقي وكفرت بخصومه !

كان السمع إذن مع أم كلثوم ، وكان الفكر مع الشعر ، وكان الخيال مع الشاعر ... أما الشعر فقد عرفت رأيي فيه وفي صاحبه ، وأما الغناء فلا بد فيه من كلمة ! إن أم كلثوم في رأي الفن لا تمتاز بموهبة الصوت وحدها كما ينادي بذلك بعض الغلاة ولكنها تمتاز بموهبتين أخريين هما براعة الإلقاء ودقة الأداء ... إنها تكاد تنفرد بتلك الموهبة التي تتمثل في سلامة النطق لمخارج الحروف في المقطوعات الشعرية ، أما موهبة الأداء فتتمثل في أنها تنقل اللحن كما يلقى إليها في دقة عجيبة ، يعينها عليها ذوق سقله المران وأذن بلغت الغاية في رهافة الحس الموسيقي . كل ما ينقص هذه الفنانة هو أن صوتها النادر ينطلق من أوتار الحنجرة دون أن يمر على أوتار القلب وهنا مفرق الطريق بينها وبين فنانة كاسمها !

كلمات من « قطرات ندى » :

حدثتك في العدد الماضي من الرسالة عن كتاب الأديب اللبناني راجي الراعي ... ولن أنهت هذا الرجل إلا بكلمة «أديب» ولو ترك الأدب إلى المحاماة ، وترك المحاماة إلى القضاء ، وترك القضاء إلى حيث لا أدري ولا يدري ! .

ولعل هذه الكلمات التي أنقلها هنا عن كتابه تهز قلبه وتحرك قلمه وتعود به إلى ماضيه ... وإنها لكلمات تعلو في رأيي فوق مستوى نظائرها في « كرم على درب » لليخائيل نعيمه . وإذا كنت قد استمعت لنعيمه في كرمه ودربه فما أحراك أن تستمع لراجي الراعي في قطرات ندى :

* يقولون أبطلوا الثورات ، ولكنهم ينسون أن الألوهية نفسها قد ثارت بالخليقة على العدم ! .

* إذا شئت أن تبكي فاذرف الدمع أينما كنت ، فلست في حاجة إلى زاوية تختارها وتعتزل فيها فالجميع يبكون ! .

* الرجل الذي لا يستحق أن يحيا لا يستحق أن يموت أيضاً ، فقد يجاور جثمانه في القبر جثمان رجل عظيم ! .

* إذا صفعتك الحياة بارزها بسيف الإرادة وارسل إليها شاهديك : العمل والأمل ! .

* الفشل دمعة وقهقهة ، فإذا فشلت بكى الوهم فيك وقهقهت الحقيقة ! .

* الزنا في رأيي لا يعني فقط تحول المرأة عن زوجها الشرعي ، ولكنه يعني أيضاً التحول بصورة عامة عن طريق الواجب ، فأي منا لا يتحول عن هذا الطريق ! أي منا لا يعد مع هذا التعريف زانياً ! .

* لا تقل لي كم عشت من السنوات ولكن قل لي كيف عشتها ! .

* من أنت وما هذا التبجح فيك ، ما دامت ثلاث كؤوس من الخمرة الطيبة تستطيع أن تتصرف بك على هواها ؟ ! .

* إذا وقعت الحياة على أوتارها جاءتك بنغمة واحدة هي الأنين ! .

* الحياة تسقيني خمورها ولكن الموت هو الداعي إلى الوليمة ، فكأن الحياة تقدم لي كأسها لأشرب نخب القبر الذي أنا صائر إليه ! .

* كيف اجتمعت عظمة الفن في بناء الأهرام مع عبودية بنائها ؟ ! .

* الفترة بين ضلال وضلال هي التي تحسبها هدى ... وما هي إلا صلة بينهما ! .

* ليتني أظل حياً في الموت لأدرك أسراره !

* الذكرى جرس يدق في عالم النسيان !

* الأبطال يشدون بحبال مشانقهم أوتاد خيامهم في بطاح المجد !

* ثلاثة قهروا الموت : الخالد ، والمنتحر ، والذي لم يولد بعد !

* عجبت الموت كيف يدعي أنه ينغص الجفون ، ألم تغمضها الحياة من قبله ؟ أي لحظة تمر بنا والجفن فيها قرير ؟ !

* مهما قيدوا حرية الكلام فإن الخطيب الحق هو من إذا جاشت في صدره الشجون لا يلتفت يمنة ولا يسرة ، بل يصعد إلى المنابر عنوة وقسرا !

سوفوكليس وابواسناز الصعيدي :

الأستاذ الشيخ عبد المتعال الصعيدي عالم من علماء الأزهر ؛ ومعنى هذا أن ثقافته لا تعينه في البحث والدراسة إلا في حدود المجال الذي تخصص فيه وتفرغ له .. وكم أود أن يقصر بعض الباحثين جهودهم على الميدان الذي أعدوا له أذواقهم وملكاتهم ، وأنفقوا فيه كل ما تهيأ لهم من وقت ومثابرة !

أقول هذا بمناسبة الكلمة التي كتبها الأستاذ الصعيدي في العدد الماضي من « الرسالة » حول مسرحية « الملك أوديب » للأستاذ توفيق الحكيم ... ولعله يوافقني على أن مجال الكتابة عن فن المسرحية أمر يبعد عن دائرة اختصاصه ، لأنه لا يعرف لغة أجنبية تعينه على الإلمام بأصول هذا الفن عند سوفوكليس وغير سوفوكليس من كتاب المسرحية في الأدب اليوناني . ولو قدر له شيء من هذا لما كتب هذه الكلمة التي تحفل بسذاجة النظرة إلى ذلك العمل الفني الذي نسجت خيوطه من جوالأساطير القديمة ! ... إن الأستاذ الصعيدي يضحكني حين يخالف رأي النقاد على مدار القرون ، وهو الرأي الذي يقطع بأن هذه المسرحية قد بلغت من الكمال الفني أوجاً يعد مفخرة للذهن البشري . إنها في رأيه — أو على الأصح في رأي ثقافته — الأعيب كهان جهلة ، يستغلون جهل الشعوب ، ويلعبون كما يشاء لهم جهلهم بمصيرهم !

إذا لم تصدق أن الأستاذ الصعيدي قد قطع بهذا الرأي ، فارجع إلى عدد « الرسالة » الماضي ... وإذا سألتني تعقيباً ، فليس لدي غير تعقيب واحد هنا نصه : أفادكم الله يا أستاذ !

رفاع عن قضية خاسرة :

عاد الأستاذ محمد محمود عماد المحامي ليخالفني مرة أخرى فيما عقبت به على كلمته الأولى حول شخصية محمد الإنسانية ؛ وأود أن أوجه نظر الأستاذ عماد إلى أن هذه الطريقة التي يناقشني بها ، تذكرني بطريقة كل محام يدافع عن قضية خاسرة . . لا شيء غير اللف والدوران « والتعامل » مع الألفاظ والعبارات ! .

ترى هل يرمي الأستاذ عماد من وراء هذا الجدل إلى أن يخرج القراء بنتيجة ؟ ... إنني أرحب بالنقاش إذا ما حاول أن يفهمني ، وإلا فلن أرد عليه ، لأن وقتي ووقت القراء وصفحات الرسالة يجب أن تشغل بشيء ذي غناء .

وللأستاذ مني خالص الشكر على كريم تحيته .

أنور المعداوي

إعلان

سيعمل مزاد علني بمكتب حضرة صاحب العزة مدير عام قسم الطب البيطري بوزارة الزراعة بالدقي ظهر يوم السبت الموافق ٢٩ فبراير سنة ١٩٤٩ عن بيع السبلة المتخلفة من مواشي معمل استخراج المصل بالعباسية وكذا السبلة المتطور تخلفها بسلخانة مصر وذلك خلال المدة من أول مارس سنة ١٩٤٩ لنهاية فبراير سنة ١٩٥٠ وتقدر الأولى بحوالي ٢٠٠ متر مكعب تحت السجز والزيادة وتقدر الثانية بحوالي ١٠٠٠ متر مكعب تحت السجز والزيادة .

فعلى من له الرغبة في دخول المزاد أن يتقدم في الموعد المحدد ومعه تأمين بواقع ٢٠ ٪ من القيمة إذا رسى عليه المزاد — وللقسم الحق في قبول أو رفض أي عطاء دون إبداء الأسباب .

١٢٦٣